كيف تؤثر الصحافة الاستقصائية في تشكيل الرأي العام؟

الدكتور أنوار لكحل
إعلامي بقناة MEDI1TV الفضائية، وباحث في الإعلام السياسي
الأستاذة ملاك مهراج
طالبة باحثة بسلك الدكتوراه بمدرسة الملك فهد العليا للترجمة بطنجة
المغرب

الملخص:

من أكثر الأدوات الإعلامية قوة في تشكيل الرأي العام، نجد الصحافة الاستقصائية، لذلك اعتمدنا في هذا المقال العلمي على التدقيق علميا في الدور المحوري الذي تلعبه الصحافة الاستقصائية في تعزيز الممارسات الديمقراطية، وذلك عبر إبراز تمكينها الجمهور من الحصول على معلومات موثوقة تسهم في تشكيل آرائهم ومواقفهم من القضايا العامة.

يمكن للتقارير الاستقصائية التي تكشف عن فضائح أو تجاوزات أو فساد أن تثير نقاشات واسعة في المجتمع، لهذا يُسهم هذا النوع من الصحافة في إحداث تغييرات جذرية في الرأي العام من خلال توجيه الأنظار إلى قضايا قد تكون غير معروفة أو مغفلة، وعند نشر تحقيق استقصائي حول قضية فساد سياسي، يمكن أن يؤدي ذلك إلى غضب شعبي، واسع، ودعوات للمساءلة، والإصلاح.

تتمتع الصحافة الاستقصائية بسلطة معرفية قوية، فهي ليست مجرد ناقل للأخبار، بل هي مصدر لإنتاج المعرفة، هذه السلطة تأتي من خلال القدرة على الوصول إلى معلومات دقيقة ومفصلة والتحقق منها بوسائل مهنية، تعطى هذه السلطة للصحافة الاستقصائية مكانة مميزة في المجتمع، حيث تعتبر تقاريرها مرجعا موثوقا للجمهور عند تشكيل آرائهم حول القضايا العامة، فهذه السلطة المعرفية تعزز من دور الصحافة كحارس على الديمقراطية حيث تساهم في الكشف عن الحقائق التي قد تخفى عن الجمهور من قبل القوى السياسية أو الاقتصادية، وتأثير الصحافة الاستقصائية في المجال العام والممارسة الديمقراطية.

من خلال تقديم تحقيقات دقيقة ومؤثرة، تعمل الصحافة الاستقصائية على توسيع نطاق النقاش العام وتوجيهه نحو القضايا التي تحتاج إلى اهتمام ومعالجة بالإضافة إلى ذلك، تسهم الصحافة الاستقصائية في تعزيز الممارسة الديمقراطية من خلال تمكين المواطنين من الوصول إلى معلومات دقيقة وموثوقة، مما يساعدهم على اتخاذ قرارات مستنيرة والمشاركة الفاعلة في الحياة السياسية.

تتحمل الصحافة الاستقصائية مسؤولية كبيرة في إحداث التغيير الاجتماعي والسياسي من خلال تسليط الضوء على القضايا المهمة وكشف الحقائق المخفية، يمكن للصحافة الاستقصائية أن تكون قوة دافعة للتغيير، وهذه المسؤولية تفرض على الصحافيين الاستقصائيين الالتزام بأعلى معايير الدقة والموضوعية، مع الوعي بالتأثير الذي يمكن أن تحدثه تقاريرهم على الأفراد والمجتمعات، ولا تقتصر مسؤولية الصحافة الاستقصائية على الكشف عن المشكلات فقط، بل تشمل أيضًا تقديم حلول محتملة أو فتح المجال لنقاش عام حول كيفية معالجتها. إنها قوة التأثير الإيجابي في المجتمع من خلال التركيز على الشفافية والمساءلة، يمكن للصحافة الاستقصائية أن تساهم في إحداث تغييرات ملموسة تؤدي إلى تحسين حياة الناس وتعزيز العدالة الاجتماعية والسياسية.

Abstract:

One of the most powerful media tools in shaping public opinion is investigative journalism, so in this research project we relied on scientific scrutiny of the pivotal role that investigative journalism plays in strengthening democratic practices, by highlighting its ability to enable the public to obtain reliable information that contributes to shaping their opinions and positions on public issues, through three main axes, which we formulated in the form of basic and direct questions:

How does investigative journalism affect the formation of public opinion?

Investigative reports that reveal scandals, violations or corruption can spark broad discussions in society, so this type of journalism contributes to bringing about radical changes in public opinion by directing attention to issues that may be unknown or overlooked, and when an investigative report is published on a political corruption case, this can lead to widespread public anger and calls for accountability and reform.

How do we know the cognitive authority of investigative journalism?

Investigative journalism has a strong cognitive authority, it is not just a news transmitter, but a source of knowledge production, this authority comes through the ability to access accurate and detailed information and verify it through professional means, this authority gives investigative journalism a distinguished position in society, as its reports are considered a reliable reference for the public when forming their opinions on public issues, this cognitive authority enhances the role of journalism as a guardian of democracy as it contributes to revealing facts that may be hidden from the public by political or economic forces, and the impact of investigative journalism on the public sphere and democratic practice.

How does investigative journalism directly affect the public sphere?

By providing accurate and influential investigations, investigative journalism works to expand the scope of public debate and direct it towards issues that need attention and treatment. In addition, investigative journalism contributes to enhancing democratic practice by enabling citizens to access accurate and reliable information, which helps them make informed decisions and participate effectively in political life.

What is the responsibility of investigative journalism in change?

Investigative journalism has a great responsibility in bringing about social and political change by shedding light on important issues and uncovering hidden truths. Investigative journalism can be a driving force for change, and this responsibility requires investigative journalists to adhere to the highest standards of accuracy and objectivity, while being aware of the impact their reports can have on individuals and communities. The responsibility of investigative journalism is not limited to revealing problems only, but also includes providing potential solutions or opening the door to public debate on how to address them. Investigative journalism has great power in shaping public opinion and directing public discussions towards important issues, which enhances the role of journalism as a guardian of democracy. The cognitive authority enjoyed by investigative journalism gives it the ability to influence the public sphere and democratic practice, while imposing a great responsibility on it to use this power to positively influence society by focusing on transparency and accountability. Investigative journalism can contribute to bringing about tangible changes that lead to improving people's lives and promoting social and political justice.

الكلمات المفتاحية: الصحافة الاستقصائية، الرأي العام، التحقيقات، التغيير، التأثير

Keywords: investigative journalism, public opinion, investigations, interaction, impact

المقدمة:

يعبر الصحفي والروائي الكولومبي جابرييل غارسيا ماركيز عن جوهر الصحافة الذي اختفى بقوله:

"الاستقصاء ليس فرعا من الصحافة، بل إن كل الصحافة يجب أن تكون استقصائية بالتعريف"، فالصحافة الاستقصائية تلعب دوراً حيوياً في تشكيل كيفية إدراك الجمهور وفهمه وردود أفعاله تجاه القضايا المجتمعية المهمة، وهذا بدوره يؤثر على المواقف الجماعية والسلوك وحتى قرارات السياسة، وللصحافة الاستقصائية تأثير عميق في تشكيل الرأي العام من خلال الكشف عن الحقائق المخفية وإلقاء الضوء على القضايا الحرجة، من خلال مجموعة من الآليات.

تكشف الصحافة الاستقصائية عن الفساد أو السلوك غير الأخلاقي أو الأنشطة غير القانونية داخل الحكومات أو الشركات أو المؤسسات، ومن خلال الكشف عن هذه الحقائق، يحمل الصحفيون الكيانات القوية المسؤولية، مما قد يؤدي إلى غضب عام واسع النطاق، ودعوات إلى العدالة، والمطالبة بالإصلاح.

غالبًا ما تسلط التقارير الاستقصائية الضوء على قضايا مهمة وغير مذكورة سابقًا مثل الظلم الاجتماعي، أو الأزمات البيئية، أو انتهاكات حقوق الإنسان، ومن خلال تسليط الضوء على هذه الأمور، تشعل الصحافة الاستقصائية المناقشات العامة، وتدفع المحادثات على وسائل التواصل الاجتماعي، وفي المجتمعات وبين صناع السياسات، وتشكل آراء الجمهور واستجاباته.

يمكن للصحافة الاستقصائية أن تؤدي إلى تغييرات تشريعية أو إصلاحات سياسية، وعندما تكشف القصص الاستقصائية عن مشاكل مجتمعية كبيرة، مثل ظروف العمل غير الآمنة أو انتهاكات المراقبة الحكومية، فإنها تخلق ضغطًا عامًا من أجل التغيير، مما يدفع السلطات إلى اتخاذ إجراءات لمعالجة هذه المخاوف.

يعتمد الناس على الصحافة الاستقصائية للحصول على معلومات متعمقة ومدروسة جيدًا وموثقة بالحقائق، ونظرًا لأن هذه التقارير تستند إلى تحقيقات وأدلة مكثفة، فإنها تساعد الناس على تكوين آراء مستنيرة بدلاً من التأثر بالشائعات أو المعلومات غير الكاملة.

تضمن الصحافة الاستقصائية الشفافية من خلال الإبلاغ عن المعلومات المخفية، والوعي الذي تولده يجعل من الصعب على المنظمات أو الحكومات أو الأفراد تجنب التدقيق، مما يؤدي إلى جمهور أكثر اطلاعًا ويقظة.

غالبًا ما تتضمن الصحافة الاستقصائية قصصًا شخصية لأفراد متأثرين بالقضايا التي يتم التحقيق فيها، ومن خلال القيام بذلك، يساعد الجمهور على التواصل عاطفياً مع مواضيع هذه القصص، مما يخلق التعاطف ويعزز الشعور بالإلحاح لمعالجة القضايا التي تم تسليط الضوء عليها.

1.اعتبارات منهجية ونظرية

1.1 الإشكالية:

في ظل التطور السريع لوسائل الإعلام وتزايد دورها في توجيه الرأي العام، أصبحت الصحافة الاستقصائية واحدة من أكثر الأدوات الإعلامية تأثيرًا، نظرًا لقدرتها على كشف الحقائق المخفية والمعلومات التي تكون عادة غير متاحة للجمهور.

يبقى التساؤل حول كيفية تأثير هذه التحقيقات على مواقف وسلوكيات الجمهور بشكل دقيق، فبينما يراها البعض وسيلة حيوية لتعزيز الشفافية ومساءلة السلطات، يعتبر آخرون أن تأثيرها قد يكون محدودًا بسبب عوامل مثل الرقابة الإعلامية أو التحيزات الاجتماعية والسياسية للجمهور.

لذا، تتمثل الإشكالية الأساسية لهذا المقال العلمي في استكشاف الكيفية التي تؤثر بها الصحافة الاستقصائية في تشكيل الرأي العام، وكيف تؤثر تحقيقات الصحفيين الاستقصائيين على وعي الجمهور وتوجهاته تجاه القضايا السياسية والاجتماعية؟ وما هو دور هذه التحقيقات في تحفيز التغييرات في السياسات العامة؟ وهل يختلف هذا التأثير باختلاف الثقافات والمجتمعات؟ هذه الأسئلة تسلط الضوء على ضرورة فهم العلاقة المعقدة بين الإعلام والجمهور في ظل التحديات الحديثة.

فالصحافة الاستقصائية لا تكتفي فقط بكشف الحقائق، بل تؤثر بشكل مباشر على صنع السياسات العامة، ومن خلال التحقيقات التي تقوم بها، تجبر الصحافة الحكومات على تعديل سياساتها أو تبني سياسات جديدة تتماشى مع احتياجات المجتمع، كما أن الصحافة الاستقصائية تلعب دورًا في توجيه الحوار العام حول القضايا المهمة، مما يؤثر على أولويات الأجندة السياسية.

في المجتمعات الديمقراطية وغير الديمقراطية على حد سواء، تحمل الصحافة الاستقصائية مسؤولية كبيرة، لأنها أداة قوية للتغيير والإصلاح الاجتماعي والسياسي، إنها تتيح للجمهور فرصة الاطلاع على المعلومات والحقائق التي تُخفى عنه، ما يجعلها تساهم في كشف الفساد، تعزيز المساءلة، وحث الحكومات والشركات على تحسين أدائها أو تعديل سياساتها .

ثم كيف يمكن ممارسة صحافة استقصائية فعالة أمام تعاظم خطر الأخبار الزائفة، وتداخل المصالح، وتنافس الشركات غير الشريف، وتحيز وسائل الإعلام، وضعف تكوين الصحفيين، وبروز فاعلين إعلاميين جدد كالمؤثرين والمدونين، وتغول التحكم المالي (الإشهار) في تحديد أولويات الممارسة الصحفية.

هذا ما سنتطرق له بتفصيل في هذا المقال، حيث سنتناول بالتفصيل دور ومسؤولية الصحافة الاستقصائية في إحداث التغيير، مع الاستعانة بمصادر ومراجع متنوعة ونماذج تطبيقية من واقع التحقيقات الصحفية.

1.1 الاستراتيجية البحثية:

ينطلق هذا المقال في مقاربة الإشكالية البحثية، كما تُظهِر صياغة السؤال المنطلق:

كيف تؤثر الصحافة الاستقصائية في تشكيل الرأي العام؟

ثم نستخلص منه ثلاثة أسئلة محورية :

كيف نعرف السلطة المعرفية للصحافة الاستقصائية؟

كيف تؤثر الصحافة الاستقصائية بشكل مباشر على المجال العام؟

ماهي مسؤولية الصحافة الاستقصائية في التغيير؟

وتهدف هذه الاستراتيجية البحثية إلى ملامسة الموضوع من كل جوانبه المفاهيمية والتجريبية عبر طرح مجموعة من الأسئلة الفرعية:

ما هي التحديات التي تواجه الصحافة الاستقصائية؟

كيف تسهم الصحافة الاستقصائية في كشف الفساد وتعزيز الشفافية؟

ما هو تأثير التحقيقات الاستقصائية على الجمهور؟

كيف تغير الصحافة الاستقصائية آراء وتوجهات الجمهور نحو قضايا معينة؟

هل تؤدي التحقيقات الاستقصائية إلى تغييرات في سلوك أو مواقف الجمهور تجاه السياسات أو الشخصيات العامة؟

ما هو الدور الذي تلعبه وسائل الإعلام في نشر التحقيقات الاستقصائية؟

كيف تؤثر طريقة نشر التحقيقات في الصحافة الاستقصائية على مدى تأثيرها في الرأي العام؟

هل تختلف وسائل الإعلام التقليدية عن الرقمية في تأثيرها على تشكيل الرأي العام عند نشر التحقيقات الاستقصائية؟

كيف تتأثر السياسات العامة والتحركات القانونية بالتحقيقات الاستقصائية؟

كيف تؤثر الرقابة، والضغوط السياسية، والتحديات المالية على الصحافة الاستقصائية؟

ما هي المخاطر التي يواجهها الصحفيون الاستقصائيون أثناء قيامهم بعملهم؟

هل تختلف تأثيرات الصحافة الاستقصائية في البلدان ذات الأنظمة الديمقراطية مقارنة بالبلدان ذات الأنظمة السلطوية؟

هل تختلف تأثيرات الصحافة الاستقصائية بين الثقافات والمجتمعات المختلفة؟

كيف تؤثر الثقافة السياسية والاجتماعية في تقبل المجتمع للتحقيقات الاستقصائية؟

ما هو دور التكنولوجيا ووسائل التواصل الاجتماعي في تعزيز الصحافة الاستقصائية؟

كيف ساعدت التكنولوجيا الحديثة الصحافة الاستقصائية في الوصول إلى جمهور أكبر؟

كيف يمكن للصحافة الاستقصائية المساهمة في تعزيز الديمقراطية والمجتمع المدني؟

ما هو الرابط بين الصحافة الاستقصائية والممارسات الديمقراطية؟

كيف يؤثر الإطار القانوني على فعالية الصحافة الاستقصائية في البلدان المختلفة؟

ما هو دور القوانين المتعلقة بحرية الصحافة والمعلومات في دعم أو تقييد الصحافة الاستقصائية؟

2.1 مفاهيم:

1.2.1 الصحافة الاستقصائية، صنعة أم نضال؟

عندما نقوم بتعريف الصحافة الاستقصائية من منظور علمي فإننا نتحدث عن شكل متخصص من أشكال الصحافة التي تسعى إلى الكشف عن الحقائق المخفية وإعلام الجمهور بقضايا ذات أهمية كبيرة، بما في ذلك الفساد وانتهاكات حقوق الإنسان وغيرها من أشكال إساءة استخدام السلطة، يحدد هذا المقال الصحافة الاستقصائية، ويحدد سماتها الرئيسية، ويفحص دورها داخل المجتمعات الديمقراطية الحديثة، من خلال مراجعة الأدبيات العلمية، ويقدم هذا المقال تحليلاً متعمقًا للمنهجيات والتحديات والاعتبارات الأخلاقية المرتبطة بالتقارير الاستقصائية، انطلاقا من دليل اليونسكو للتحقيقات الصحفية الذي عرّف الصحافة الاستقصائية بأنها "تكشف النقاب عن مسائل تهمّ العموم، كانت تخفيها عن قصد جهة ذات سلطة، أو يحجبها دون قصد ركام فوضوي من المعلومات والظروف التي تؤدي إلى الالتباس، وذلك بالاعتماد على مصادر وسجلات قد تكون سرية أو علنية".[1]

وتتميز الصحافة الاستقصائية عن الصحافة التقليدية في أنها تنطوي على السعي النشط وراء المعلومات المخفية عمدًا عن الجمهور، ولا يهدف هذا النوع من الصحافة إلى الإبلاغ عن الأحداث فحسب، بل يهدف أيضًا إلى الكشف عن القضايا أو المخالفات النظامية التي قد تظل غير معلنة بخلاف ذلك، وباعتبارها "الحارس" للمجتمع، تلعب الصحافة الاستقصائية دورًا حاسمًا في تعزيز الشفافية والمساءلة والعدالة، ولقد ساهم العديد من الباحثين في الفهم الأكاديمي للصحافة الاستقصائية، حيث أكد كل منهم على جوانب مختلفة مثل الضرورات الأخلاقية، ومنهجياتها، وتأثيرها الاجتماعي، يصف نيلز هاتسون الصحافة الاستقصائية بأنها "بحث وتقارير منهجية ومتعمقة وأصلية، وغالبًا ما تنطوي على الكشف عن الأسرار".[2]

فيما يعرفها برانت هيوستن (منظمة محررون وإعلاميون استقصائيون،Investigative Reporters and Editors)، بأنها "خدمة عامة" تضمن عمل الديمقراطية من خلال الكشف عن الفساد وإعلام الجمهور بالممارسات الحكومية الخاطئة.[3]

تستخدم الصحافة الاستقصائية عادةً مزيجًا من أساليب البحث النوعية والكمية، وتشمل هذه المقابلات المتعمقة، وتحليل الوثائق، والملاحظات الميدانية، وتحليل البيانات، ويتطلب التحقيق الناجح الوصول إلى المصادر الأولية، مثل المبلغين عن المخالفات أو الوثائق السرية، والتي غالبًا ما تشكل تحديات فريدة للصحفيين، وفقًا لهنتر، يجب أن يتمتع المراسلون الاستقصائيون بالمهارة في التنقل عبر المناظر القانونية المعقدة لضمان التزام عملهم بالمعايير الصحفية والقانونية، بما في ذلك قوانين التشهير وحماية المصادر.[4]

بالإضافة إلى ذلك، مع ظهور الصحافة الرقمية، بدأ المراسلون الاستقصائيون في استخدام الصحافة القائمة على البيانات، أو "التقارير بمساعدة الحاسوب"، حيث يتم تحليل مجموعات البيانات الكبيرة لتحديد الاتجاهات والأنماط، وهذا مفيد بشكل خاص في الصحافة المالية، حيث يتم فحص الوثائق المؤسسية والسجلات الضريبية والتبرعات السياسية لكشف الاحتيال أو الفساد المنهجي.[5]

تتطلب الصحافة الاستقصائية حسب آدم ستيوارت وروي بيتر كلارك موقفًا مستقلاً لتجنب تضارب المصالح، كما أنه يجب على الصحفيين التحقيق والإبلاغ دون تأثير غير مبرر من الجهات الفاعلة السياسية، ويساعد هذا الاستقلال في الحفاظ على الموضوعية والنزاهة في الإبلاغ.[6]

على عكس التقارير الإخبارية اليومية، تتطلب الصحافة الاستقصائية غالبًا مشاركة طويلة الأمد، وقد يقضي الصحفيون شهورًا، أو حتى سنوات، في البحث في قصة واحدة للتأكد من الكشف عن جميع الحقائق ذات الصلة والتحقق منها، فالهدف النهائي للصحافة الاستقصائية هو خدمة المصلحة العامة.

تتناول التقارير الاستقصائية عادةً القضايا التي تؤثر بشكل كبير على المجتمع، مثل الفساد، أو الانتهاكات البيئية، أو انتهاكات حقوق الإنسان، ويعمل هذا الشكل من الصحافة كـ "شاهد أخلاقي" من خلال تسليط الضوء على الظلم الذي تعاني منه الفئات المهمشة، والشعوب المستضعفة، كما يرى الصحفي الأسترالي جوليان أسانج مؤسس موقع ويكي ليكس.[7]

على الرغم من أهميتها، فإن الصحافة الاستقصائية محفوفة بالتحديات، إحدى العقبات الرئيسية هي تهديد الرقابة والانتقام، وخاصة في الأنظمة الاستبدادية، ففي مثل هذه السياقات، يخاطر الصحفيون بسلامتهم، والعواقب القانونية لكشفهم عن قضايا حساسة، وحتى في المجتمعات الأكثر ليبرالية، قد يواجه المراسلون الاستقصائيون دعاوى قضائية، بما في ذلك مزاعم التشهير، والتي يمكن أن تخنق قدرتهم على الإبلاغ بحرية. [8]

هناك تحدٍ كبير آخر هو التمويل، فالصحافة الاستقصائية تتطلب موارد مالية كبيرة لدعم التحقيقات المطولة، والتي تكافح العديد من المؤسسات الإخبارية لتوفيرها، وخاصة في العصر الحالي من انخفاض عائدات الإعلان[9].

تلعب الأخلاقيات دورًا حاسمًا في الصحافة الاستقصائية، فهل يستطيع الصحفيون الموازنة بين حق الجمهور في المعرفة وحقوق الأفراد، وخاصة فيما يتعلق بالخصوصية والإنصاف وتقليل الضرر، والمساءلة، وتجنب تضارب المصالح، وحماية المصادر، وخاصة في التحقيقات الحساسة التي تنطوي على المبلغين عن المخالفات، الذين قد يواجهون عواقب قانونية أو شخصية.[10]

وفي المحصلة تلعب الصحافة الاستقصائية دورًا رئيسيًا في المجتمعات الديمقراطية من خلال محاسبة السلطة، يمكن أن تؤدي إلى إصلاحات سياسية، وإجراءات قانونية، وزيادة الوعي العام بالقضايا المجتمعية، ففضيحة ووترجيت في الولايات المتحدة، التي كشف عنها مراسل صحيفة واشنطن بوست بوب وودوارد وكارل بيرنشتاين، أدت إلى استقالة الرئيس ريتشارد نيكسون، فيما كشف تحقيق أوراق بنما عن التهرب الضريبي والسرية المالية على نطاق واسع بين النخب العالمية، مما أدى إلى تحقيقات حكومية وإصلاحات سياسية في العديد من البلدان. [11]

وبعيدًا عن هذه الحالات البارزة، تساهم الصحافة الاستقصائية في المجتمع من خلال تعزيز مبادئ الشفافية والعدالة، وكما يلاحظ وايسبورد (2019)، فإن الصحافة الاستقصائية "تعزز الحياة العامة من خلال تزويد المواطنين بالمعلومات التي يحتاجون إليها لاتخاذ قرارات مستنيرة".[12]

تظل الصحافة الاستقصائية ركيزة أساسية للمجتمعات الديمقراطية، وتمكن المواطنين من محاسبة أصحاب السلطة. وعلى الرغم من التحديات التي تواجهها – من الرقابة والقيود المالية إلى المعضلات الأخلاقية – فإن مساهماتها في الشفافية والعدالة الاجتماعية والمصلحة العامة لا يمكن إنكارها، ومن خلال استخدام أساليب بحثية صارمة والالتزام بالمبادئ التوجيهية الأخلاقية الصارمة، ستظل الصحافة الاستقصائية أداة أساسية لكشف الفساد وتعزيز الإصلاح المجتمعي. [13]

وخلاصة القول هنا أن الصحافة الاستقصائية تُعتبر في جوهرها مزيجًا بين الصنعة والنضال، فمن جهة، هي صنعة تتطلب مهارات متخصصة، مثل البحث العميق، التحليل الدقيق، والقدرة على التعامل مع مصادر معقدة وسرية، إلى جانب الالتزام بالمعايير المهنية والأخلاقية، كما تتطلب هذه الصنعة من الصحفيين امتلاك أدوات علمية وتقنية متقدمة مثل تحليل البيانات، والتدقيق في الوثائق، والتحري المستقل.

ومن جهة أخرى، فإن الصحافة الاستقصائية هي أيضًا شكل من أشكال النضال، إذ أنها تسعى لكشف الحقائق في وجه السلطات الفاسدة، الشركات الكبرى، أو الأنظمة الاستبدادية التي تحاول إخفاء المعلومات عن الجمهور، وفي العديد من الحالات، يعمل الصحفيون الاستقصائيون تحت تهديدات قانونية وجسدية، ويتعرضون لضغوط هائلة، مما يجعل عملهم شكلاً من أشكال النضال من أجل الحقيقة والشفافية والعدالة.

ومن خلال كل ما سبق، نستنتج أن الصحافة الاستقصائية تمثل مزيجًا من الحرفة المتقنة والنضال الوظيفي والالتزام الأخلاقي من أجل المصلحة العامة.

2.2.1 الرأي العام، نحو سلطة خامسة...

عندما اتجه النائب الإنجليزي إدموند بوك (المتوفى عام 1797) إلى مقاعد الصحافيين في مجلس العموم البريطاني، وهو يقول «أنتم السلطة الرابعة» نفهم أنه في المجتمعات الديمقراطية الحديثة، لا تنحصر السلطات في يد الدولة فقط، بل هناك سلطة رابعة ذات أهمية اقتصادية وسياسية ستجعلها فيما بعد جعلتها جزءاً أساسيا من الحياة الديمقراطية، لكن حينها لم يكن بالإمكان التنبؤ بهذا المد التكنولوجي المتسارع ولا بمفهوم الأنترنت 3.0 ولا التفاعل الفوري، ولا تحيين المواقع على مدار الساعة، ولا مواقع التواصل الاجتماعي التي صارت تشكل جماعات ضغط حقيقية ومحرك للتغيير وفتيل يشعل نار الثورات ويقود التغيير المجتمعي، فأصبح يسمى السلطة الخامسة، وهي الممارسة المباشرة التي كانت غائبة منذ عقود خلت من الديمقراطية والممارسة الصحفية الحرة، وبالتالي تغيير مفهومي الرأي العام والمجال العام تغييرا جذريا.

ومن جملة التعاريف العلمية المتداولة للرأي العام في الدراسات العلمية العربية الحديثة، هو أن هذا الأخير يعتبر مجموعة من الآراء والمواقف التي يتبناها أفراد المجتمع تجاه قضية معينة أو مجموعة من القضايا التي تهم المجتمع في فترة زمنية معينة، ويتشكل الرأي العام عادة من خلال التفاعل بين الأفراد ووسائل الإعلام والمؤسسات الاجتماعية والسياسية، ويُعد مؤشرًا هامًا على ما يعتقده أو يريده الناس، وما يوجه سلوكهم في الأمور العامة. [14]

الرأي العام غير ثابت، بل متغير يعتمد على عدة عوامل منها وسائل الإعلام، التواصل الشخصي، التوجهات السياسية، الاقتصادية والاجتماعية، وكذلك الأحداث الجارية، كما يمكن أن يُشكل الرأي العام من خلال الحملات الإعلامية أو السياسية أو من خلال النقاشات العامة والمجتمع المدني.

من أبرز النظريات التي تحدثت عن الرأي العام، نجد نظرية دوامة الصمت(Theory Spiral of Silence) للباحثة الألمانية إليزابيث نويل-نيومان (Elisabeth Noelle-Neumann) في السبعينات، من القرن الماضي، و تفترض هذه النظرية أن الأفراد يميلون إلى الصمت أو عدم التعبير عن آرائهم إذا كانوا يعتقدون أن آراءهم أقلية أو غير شائعة في المجتمع، هذا الصمت يحدث بسبب الخوف من العزلة أو الانتقاد الاجتماعي، وبالتالي، فإن الرأي السائد أو الشائع يزداد قوة بينما تتلاشى الآراء المعارضة، مما يؤدي إلى تكوين رأي عام مهيمن،[15] وهنا غالبا ما تأتي نتائج التحقيقات الصحفية عكس الفكرة السائدة لدى الأغلبية الصامتة، ومفاجئة للحد الذي يساهم في تشكيل خريطة ذهنية جديدة تساعد في إحداث تغيير ملموس على المدى المتوسط أو البعيد باعتماد تدفق الاتصال عبر مرحلتين أو اعتماد نظرية حارس البوابة التي اعتمدها الباحثون في جامعة كولومبيا الأمريكية بول لازار سفليد وب نارد ب لسون وهيل جوديت، ثم قام بتطوير هذه النظرية)حارس البوابة(عالم النفس النمساوي الأصل والأمريكي الجنسية "كيرت لوين "، وبالتالي الرأي العام متحول ومتغير ويمكن أن يشكل سلطة رمزية أو جهة ضاغطة نحو التغيير. [16]

هناك كذلك نظرية التهيئة(Agenda-Setting Theory) للباحثين ماكسويل ماكومبس (Maxwell McCombs) ودونالد شو (Donald Shaw) في الستينات والسبعينات، من القرن الماضي، و تقترح هذه النظرية أن وسائل الإعلام لا تقول للجمهور ما يجب أن يفكروا فيه، ولكنها تؤثر في ما يفكرون به من خلال تركيزها على قضايا معينة دون أخرى، بعبارة أخرى، وسائل الإعلام تساهم في تحديد الأجندة العامة أو الأولويات لدى الجمهور. [17]

كما نجد نظرية الغرس الثقافي (Cultivation Theory) لجورج جيربنر (George Gerbner) في السبعينات، و تنص هذه النظرية على أن التعرض الطويل لوسائل الإعلام، وخصوصًا التلفزيون، يمكن أن يغرس في الأفراد رؤية معينة للعالم، أي أن وسائل الإعلام تؤثر بشكل بطيء ومستمر في تشكيل الرأي العام وتصورات الجمهور حول القضايا الاجتماعية والواقعية، وهنا لو عدنا قليلا للوراء نجد أن جيلا كاملا من الصحفيين الشباب متأثر بشكل كبير ببرامج قناة الجزيرة خاصة البرامج التي بنيت على تحقيقات أو استقصاء، كبرنامج سري للغاية لصاحبه يسري فودة او نقطة ساخنة للإعلامي أسعد طه. [18]

ولابد من الحديث كذلك عن نظرية التنافر المعرفي (Cognitive Dissonance Theory) التي افترض فيها ليون فيستنغر (Leon Festinger)في الخمسينات، أن الأفراد يسعون إلى تقليل التنافر بين معتقداتهم وسلوكهم، فعندما يواجه الشخص معلومات تتعارض مع آرائه أو معتقداته، فإنه يشعر بتوتر داخلي، ويسعى إلى تقليل هذا التوتر إما بتغيير آرائه أو بتجاهل المعلومات الجديدة، هذا يمكن أن يؤثر على كيفية استجابة الأفراد للمعلومات الجديدة التي يتلقونها من وسائل الإعلام، وواقع الحال في تجربتنا العربية، يقول أن عدد كبير من التحقيقات الصحفية أجهضت في المهد لتعارضها مع معتقد شريحة كاملة أو فكر طائفة كزواج الفاتحة في المغرب وموضوع الأراضي السلالية الذي يصعب فتحه إعلاميا، لأنه يتعارض مع مصالح فئة كبيرة من الناس. [19]

ثم لابد من التعريج على نظرية الرأي القيادي (Two-Step Flow of Communication) التي يرى فيها بول لازارسفيلد (Paul Lazarsfeld)وإيليهو كاتز (Elihu Katz) أن تشكيل الرأي العام لا يحدث بشكل مباشر من وسائل الإعلام إلى الجمهور، بل يتوسطه "قادة الرأي" وهم أفراد لديهم نفوذ وتأثير في محيطهم، هؤلاء القادة يتلقون المعلومات من وسائل الإعلام أولاً ثم ينقلونها إلى جمهورهم، مما يجعلهم عاملًا مؤثرًا في تشكيل الرأي العام. [20]

فهل يصبح المؤثرون في مواقع التواصل الاجتماعية لاعبون جدد ويعوضون دور الصحافيين، وبالتالي سنتحدث عن رأي عام جديد وعن جيل جديد من الممارسة الصحافية، وعن انزياح في المفاهيم حد الزعم بكون هذا النموذج هو حق أريد به باطل، أو نموذج تصفى من خلاله حسابات وتخدم أجندات. [21]

ومن هنا يمكننا أن نستنتج أن نظريات الرأي العام تعتبر أدوات هامة لفهم كيفية تشكل الآراء والمواقف لدى الأفراد والمجتمعات، على الرغم من اختلاف زوايا النظر بين هذه النظريات، إلا أنها تتفق على أن الإعلام له دور محوري في تشكيل الرأي العام، سواء من خلال تحديد القضايا ذات الأولوية، أو من خلال التأثير على كيفية تفكير الأفراد وسلوكهم.

فالصحافة الاستقصائية هي أحد الأركان الأساسية التي تعتمد عليها المجتمعات الديمقراطية لمراقبة ومساءلة السلطات، سواء كانت حكومية، أو اقتصادية، أو اجتماعية، كما تُعتبر أداة هامة لضمان الشفافية وتعزيز المساءلة في المجتمع، وتؤدي دورًا محوريًا في تشكيل الرأي العام والمجال العام، وبالتالي يمكننا الحديث عن سلطة خامسة حقيقية ناشئة، تدفع الأفراد للتفاعل و للنقاش وتبادل الآراء حول القضايا العامة التي تؤثر على المجتمع، وتتضمن هذه السلطة وسائل الإعلام، والنقاشات العامة، والمظاهرات، والاحتجاجات، وجميع أشكال التواصل الاجتماعي والسياسي، فالصحافة الاستقصائية تؤثر على المجال العام من خلال توفير المعلومات المهمة التي قد تكون محجوبة أو غير متاحة للعامة، مما يُسهم في توسيع دائرة النقاش العام وزيادة وعي الأفراد حول القضايا الحساسة التي تؤثر على حياتهم، إنها سلطة خامسة.

2.السلطة المعرفية للصحافة الاستقصائية

لفهم السلطة المعرفية للصحافة الاستقصائية، يجب علينا أولاً فهم معنى السلطة المعرفية وأهميتها في تشكيل الواقع والمعلومات المتاحة للجمهور، الصحافة الاستقصائية، بوصفها شكلاً من أشكال الصحافة التي تعتمد على التحقيق والبحث العميق في القضايا، تكتسب سلطة معرفية بفضل قدرتها على كشف حقائق جديدة ومعلومات قد تكون غير معروفة أو مخفية عن الجمهور، ولتوضيح مفهوم السلطة المعرفية في الصحافة الاستقصائية، وكيف تؤثر هذه الصحافة في تشكيل الرأي العام، وتحديد التوجهات الاجتماعية والسياسية، سنعتمد في ذلك على توظيف نموذج حديث لدعم التحليل.

السلطة المعرفية تعني القدرة على التأثير فيما يُعترف به على أنه "حقيقة" أو "واقع" من خلال التحكم في المعلومات وتوجيه النقاش العام، تتمثل هذه السلطة في الصحافة الاستقصائية بقدرتها على الوصول إلى المعلومات الدقيقة والمهمة التي لا تكون متاحة لعامة الناس أو يتم حجبها بطرق مختلفة، فالصحافة الاستقصائية تلعب دورًا محوريًا في تعزيز هذه السلطة المعرفية، من خلال كشف الفساد، الجرائم، والتلاعب السياسي والاقتصادي.[22]

1.2 دور الصحافة الاستقصائية في بناء السلطة المعرفية

تقوم الصحافة الاستقصائية بدور مهم في بناء السلطة المعرفية عبر مجموعة من الأدوات، فالصحافة الاستقصائية تعتمد على تحقيقات معمقة وموثوقة للوصول إلى المعلومات، تستند هذه التحقيقات إلى مصادر موثوقة مثل الوثائق السرية، والشهادات المباشرة من المطلعين، والبيانات الرسمية التي يتم تحليلها بطرق دقيقة.

غالبًا ما تكشف الصحافة الاستقصائية عن معلومات قد تكون مخفية أو غير متاحة للجمهور، مما يعزز سلطتها المعرفية كحارس للحقيقة. على سبيل المثال، قضايا الفساد أو التهرب الضريبي التي يتم الكشف عنها تؤثر بشكل كبير في تغيير فهم الجمهور للواقع السياسي أو الاقتصادي.[23]

تؤدي تحقيقات الصحافة الاستقصائية إلى توجيه النقاشات العامة حول قضايا مهمة قد تؤثر على حياتهم اليومية، فقضايا الفساد التي يتم الكشف عنها غالبًا ما تؤدي إلى احتجاجات شعبية وتغيير في السياسات العامة، ففي مصر شكلت وزيرة الصحة هالة زايد لجنة تحقيق للنظر في مزاعم استخدام مؤسسة مستشفى سرطان الاطفال (57357) أطفالا في تجارب سريرية، بعد بث تحقيق استقصائي بعنوان "تحت التجربة" أعده الصحفيان عزة مغازي وعلي السطوحي لصالح القناة الفضائية دويتشه فيله الألمانية في أبريل 2018، التحقيق وثق قيام شركات أدوية مصرية باختبار أدوية على مرضى مصريين دون علمهم أو موافقتهم في ظل عدم وجود قانون صريح ينظم هذه التجارب، وكانت صحف محلية مصرية نقلت عن النائبة بمجلس النواب المصري فايقة فهيم، اتهامها للمستشفى بإجراء 9 تجارب طبية موثقة على الأطفال استنادا لما جاء في التحقيق المذكور، وكان الكاتب المصري وحيد حامد قد أطلق حملة إعلامية ضد المستشفى، مطالبا بإحالة أي شخص يستخدم الأطفال كفئران تجارب إلى المحكمة وفقا للمادة (291) عقوبات عن استخدام الأطفال في الأبحاث والتجارب العلمية، وبعد شهر من بث التحقيق، أقر مجلس النواب المصري، قانون "التجارب السريرية" لتنظيم البحوث الطبية والإكلينيكية بعد محاولات عديدة منذ سنة 2002.[24]

2.2العلاقة بين الصحافة الاستقصائية والمساءلة

من خلال الكشف عن الانتهاكات والأخطاء التي ترتكبها الجهات الفاعلة المختلفة، تصبح الصحافة قوة رئيسية في تعزيز الشفافية والمساءلة العامة، ففي السياقات التي تعاني من نقص في الشفافية، قد تكون الصحافة الاستقصائية واحدة من الأدوات القليلة التي تمكن المواطنين من الاطلاع على الحقيقة الكاملة، ورغم القوة التي تمتلكها الصحافة الاستقصائية في بناء السلطة المعرفية، إلا أنها تواجه العديد من التحديات، فقد تفرض الحكومات أو السلطات المختلفة قيودًا قانونية تحد من قدرة الصحفيين الاستقصائيين على الوصول إلى المعلومات، هذه القيود تتراوح من قوانين تقييد حرية الصحافة إلى سياسات تقييد الوصول إلى المعلومات الرسمية، وغالبًا ما يتعرض الصحفيون الاستقصائيون لمخاطر تهدد حياتهم وسلامتهم، خاصة في الدول التي تسيطر عليها أنظمة غير ديمقراطية أو حيث تكون هناك مصالح كبيرة متشابكة، فالصحافة الاستقصائية تتطلب موارد كبيرة، سواء من حيث الوقت أو المال، وتحتاج المؤسسات الإعلامية إلى استثمارات طويلة الأمد لدعم تحقيقات معمقة، وهو ما قد يجعل بعض المؤسسات تفضل الأخبار السريعة والمحتوى الأكثر جذبًا للجمهور، ففي تحقيق أوراق بنما، التحقيق الضخم حسب المراقبين، كشف الصحفيون عن شبكة واسعة من التهرب الضريبي على مستوى عالمي، مما أدى إلى تغييرات في قوانين الضرائب وزيادة الضغط على النخب المالية للالتزام بالشفافية، وهو ما يعيد للأذهان مسألة الصحافة العابرة للحدود أو مفهوم القارة السادسة وهي المواقع التي تتيح لك الحق في الاطلاع على وثائق وملفات اشتغل عليها فريق كبير لسنوات، والتي تؤدي غالبا لتحقيق تغيير شامل في القوانين، وهو تغيير أتى بعد تغذية معرفة النشطاء وجماعات الضغط والفاعلين المدنيين وسكوت السلطات، إذن التحقيق الصحفي يغذي السلطة المعرفية لدى الفرد، والفرد يقوم بالضغط انطلاقا من اكتساب المعرفة المعززة بوثائق، ثم اكتساب المعرفة يؤدي لحراك الشارع، والحراك يؤدي لتغيير القوانين، الشيء الذي حصل في وثائق بنما، وهو مثال حي يعزز هذه الفرضية ويبسطها. [25]

ومع تزايد الاعتماد على الإنترنت والتقنيات الحديثة في نقل المعلومات، تواجه الصحافة الاستقصائية تحديات جديدة وفرصًا، بفضل الأدوات الرقمية وتحليل البيانات الكبيرة، أصبح من الممكن للصحافة الاستقصائية الوصول إلى معلومات أكثر تعقيدًا ودقة، لكن في الوقت نفسه، تواجه الصحافة تحديات جديدة من حيث التدقيق في المعلومات والحفاظ على النزاهة وسط سيل من الأخبار الكاذبة والمضللة، كما أن الصحافة الاستقصائية تمتلك سلطة معرفية كبيرة تؤثر بشكل كبير في تشكيل الواقع والرأي العام، من خلال قدرتها على كشف الحقائق وتقديم المعلومات الموثوقة، فهي تلعب دورًا حاسمًا في تعزيز الشفافية والمساءلة في المجتمعات، كما حدث مع وثائق بنما أو غيرها من التحقيقات الكبرى.

3. تأثير الصحافة الاستقصائية بشكل مباشر على المجال العام

تهدف الصحافة الاستقصائية إلى كشف حقائق جديدة أو غير معلنة من خلال تحقيقات معمقة حول قضايا مهمة تهم الرأي العام، وتعتمد على البحث والتحقيق الميداني واستعمال المصادر المتعددة للوصول إلى الحقيقة، هذه الصحافة تتطلب وقتًا طويلاً وجهودًا كبيرة، لكنها تُعد من أكثر أنواع الصحافة تأثيرًا على صنع القرار العام. [26]

1.3 الصحافة الاستقصائية والتأثير على المجال العام

من أهم التأثيرات المباشرة للصحافة الاستقصائية على المجال العام هو تعزيز الشفافية والمساءلة، فالصحافة الاستقصائية تكشف عن الممارسات الفاسدة، وتساعد في زيادة وعي الجمهور حول الأنشطة غير القانونية أو غير الأخلاقية التي قد تقوم بها الحكومات أو المؤسسات، هذا النوع من التقارير يضغط على الجهات المعنية لتكون أكثر شفافية في أعمالها، ويحفز المساءلة عبر خلق جو من المساءلة الشعبية.

لا تكتفي الصحافة الاستقصائية فقط بكشف الحقائق، بل تؤثر مباشرة على صنع السياسات من خلال تقديم المعلومات الجديدة والحقائق الموثوقة التي تجبر صناع القرار على مراجعة مواقفهم أو تعديل سياساتهم، فعندما تكشف الصحافة الاستقصائية عن قضية فساد في مؤسسة حكومية، يمكن أن يؤدي ذلك إلى ضغط شعبي وسياسي يدفع إلى تحقيقات رسمية، أو تغيير القوانين لتعزيز الشفافية ومنع تكرار نفس الأخطاء، وهو ما وقع في ملف رابحة الحيمر التي توجت بجائزة المرأة الشجاعة الدولية وتسلمتها من طرف وزير الخارجية أنتوني بلينكن والسيدة الأولى جيل بايدن في حفل توزيع الجائزة الدولية للمرأة الشجاعة (IWOC) في دورتها الثامنة عشرة في البيت الأبيض، يوم 04 مارس 2024، وهي الجائزة التي كان لها وقع على مقترحات وسير لجنة تعديل مدونة الاسرة المغربية بعد عشرين سنة من صدورها. [27]

ومن خلال توفير معلومات جديدة ومهمة، تساهم الصحافة الاستقصائية في توسيع دائرة النقاش العام، تُسهم هذه المعلومات في تعزيز النقاشات المجتمعية حول قضايا كانت غائبة أو مخفية، مما يتيح للمواطنين فرصة للتفاعل والتعبير عن آرائهم، فالنقاشات العامة الناتجة عن تقارير الصحافة الاستقصائية تساهم في توسيع نطاق الحوار السياسي والاجتماعي، وتزيد من وعي الناس بالقضايا التي تؤثر عليهم، وتساهم في تعزيز الثقافة الديمقراطية من خلال تمكين الأفراد من المشاركة بشكل فعال في النقاشات العامة واتخاذ مواقف محددة بناءً على المعلومات التي تكشفها هذه الصحافة، وهو ماساهم في بلورة ضغط الشارع عن طريق تشبعه بمناصرة قضايا تطرقت لها أفلام وثائقية دولية أو أفلام سينمائية أو تحقيقات من الخارج. [28]

تلعب الصحافة الاستقصائية دورًا أساسيًا في تمكين المواطنين والمجتمع المدني، من خلال كشف الحقائق والمعلومات التي تمس القضايا العامة، تقدم الصحافة الاستقصائية أدوات قوية للمواطنين لمساءلة الحكومات والمؤسسات، هذا التمكين يمكن أن يتجلى في زيادة وعي المواطنين بحقوقهم وواجباتهم، وتشجيعهم على المطالبة بالتغيير من خلال الاحتجاجات، أو اللجوء إلى القضاء، أو حتى التصويت في الانتخابات بناءً على المعلومات التي يكشف عنها الصحفيون الاستقصائيون، فالصحافة الاستقصائية تمتاز بقدرتها على كشف المعلومات التي قد تكون مخفية عن العامة، وتعتبر صوتًا مستقلًا يسعى إلى كشف الحقيقة مهما كانت قاسية أو محرجة لأطراف معينة، وقد تميزت الصحافة الاستقصائية بدورها الحيوي في تشكيل الرأي العام، وذلك من خلال قدرتها على توفير معلومات معمقة ومدعمة بالأدلة حول قضايا مهمة، مما يسهم في تعزيز وعي الجمهور وإحداث تغييرات مجتمعية وسياسية، وهو ما يتماشى بالضبط مع حالة أمينة الفيلالي التي تمت تغطيتها والاهتمام بها إعلاميا على نطاق واسع دفع بالعديد من النشطاء المدنيين والمنظمات الحقوقية الدولية والمغربية لتبني قضيتها والدفع في اتجاه تغيير القانون الجنائي وهو ما تمت الاستجابة له في مسودة هذا القانون التي طرحت للتصويت في البرلمان المغربي. [3029]

2.3 الصحافة الاستقصائية وتغيير الرأي العام

عندما تنشر الصحافة تحقيقات عميقة حول قضية معينة، يمكن أن تُغير بشكل جذري من نظرة الناس تجاه هذه القضية، فكشف الصحافة عن ممارسات استغلالية أو فساد في شركة كبيرة، مما يؤدي إلى تراجع الثقة العامة في هذه الشركة، أو حتى إلى مقاطعة منتجاتها من قبل المستهلكين، وتؤثر الصحافة الاستقصائية في تغيير الرأي العام حول قضايا سياسية مهمة، فتحقيقات الصحافة حول انتهاكات حقوق الإنسان أو الفساد في الحكومات قد تؤدي إلى تغيير المواقف الشعبية تجاه هذه الحكومات، وزيادة المطالبات بالإصلاحات أو التغييرات السياسية. [31]

وقد أعرب الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيريش عن صدمته إزاء التقارير الإخبارية ومقاطع الفيديو التي تظهر ما يبدو أنه بيع لمهاجرين أفارقة تم استعبادهم في ليبيا. وفي حديثه للصحفيين بالمقر الدائم دعا غوتيريش "جميع السلطات القادرة على التحقيق في هذه الأنشطة بدون تأخير وتقديم مرتكبيها إلى العدالة." وأضاف "لا يوجد مكان للعبودية في عالمنا، هذه الأعمال من بين أكثر انتهاكات حقوق الإنسان فظاعة وقد تصل إلى درجة الجرائم ضد الإنسانية. أحث كل الدول على اعتماد وتطبيق معاهدة الأمم المتحدة المناهضة للجريمة المنظمة العابرة للدول والبروتوكول الملحق بها المتعلق بالاتجار بالبشر. وأحث المجتمع الدولي على الاتحاد في محاربة هذه الآفة." وهنا تظهر قوة التحقيقات الصحفية التلفزيونية التي بث جزء منها في اجتماعات الأمم المتحدة، إذ أصبحنا أمام تدويل التحقيق وجعله كونيا وذا أثر. [32]

ورغم التأثير الكبير للصحافة الاستقصائية على المجال العام، إلا أنها تواجه العديد من التحديات التي تعيق تأثيرها، ففي العديد من البلدان، تواجه الصحافة الاستقصائية قيودًا قانونية تمنعها من الوصول إلى المعلومات أو نشر التحقيقات التي تكشف الفساد أو سوء الإدارة، وغالبًا ما يتعرض الصحفيون الاستقصائيون لضغوط من جهات متنفذة تهدف إلى إسكاتهم أو إعاقة تحقيقاتهم، ويحتاج هذا النوع من الصحافة إلى موارد كبيرة من حيث الوقت والمال، وهو ما قد يعوق قدرتها على التحقيق في القضايا المعقدة.

وتتحمل الصحافة الاستقصائية مسؤولية كبيرة في إحداث التغيير الاجتماعي والسياسي من خلال كشف الحقائق وتوسيع النقاش العام وتعزيز المساءلة، ومع التحديات التي تواجهها، تظل الصحافة الاستقصائية أداة حيوية في دفع عجلة الإصلاحات وتحقيق العدالة، ومن خلال تعزيز الشفافية، يمكن للصحافة الاستقصائية أن تكون قوة دافعة نحو بناء مجتمعات أكثر عدلاً وديمقراطية. [33]

تساهم الصحافة الاستقصائية في توسيع دائرة النقاش العام من خلال توفير معلومات جديدة ومهمة تهم الرأي العام، فهي ليست مجرد أداة لنقل الأخبار، بل تُعتبر محفزًا للنقاش المجتمعي حول قضايا حساسة قد تكون غير مرئية أو مخفية عن الجمهور.

لا تكتفي الصحافة الاستقصائية فقط بكشف الحقائق، بل تؤثر بشكل مباشر على صنع السياسات العامة، من خلال التحقيقات التي تقوم بها، تجبر الصحافة الحكومات على تعديل سياساتها أو تبني سياسات جديدة تتماشى مع احتياجات المجتمع، كما أن الصحافة الاستقصائية تلعب دورًا في توجيه الحوار العام حول القضايا المهمة، مما يؤثر على أولويات الأجندة السياسية. [34]

في عصر المعلومات، أصبحت الحاجة إلى تحقيقات صحفية مستقلة ومتكاملة أكثر أهمية من أي وقت مضى، لضمان وصول الحقائق إلى الجمهور وتمكينه من اتخاذ قرارات مبنية على المعرفة والوعي، وعندما تتناول الصحافة الاستقصائية قضايا فساد أو انتهاكات قانونية، فإنها تثير انتباه الرأي العام وتجعل من الصعب على الفاعلين إخفاء أفعالهم أو التهرب من العقاب، ومن خلال كشف هذه الحقائق، تؤدي الصحافة الاستقصائية دورًا محوريًا في تقديم معلومات حيوية للجمهور قد تكون غائبة أو محجوبة، مما يساهم في تشكيل الرأي العام حول قضايا حساسة تتعلق بالفساد، سوء الإدارة، أو حتى الجرائم التي ترتكب خلف الكواليس. [35]

4. مسؤولية الصحافة الاستقصائية في التغيير

هناك إجماع على اعتبار الصحافة الاستقصائية إحدى أهم الأدوات التي تُستخدم في تحقيق الشفافية والعدالة داخل المجتمع، من خلال التحقيقات المستندة إلى جمع المعلومات والبحث العميق، فهي تلعب دورًا محوريًا في الكشف عن الحقائق المخفية التي قد تكون ذات تأثير مباشر على السياسات العامة والمجتمع، وتُعرِّف نفسها عبر التزامها بتحقيق التغيير الاجتماعي والسياسي من خلال كشف الفساد، وتوثيق الانتهاكات، وتحدي المؤسسات الكبرى سواء كانت حكومية أو خاصة.

1.4 الصحافة الاستقصائية كأداة للكشف عن الفساد

تتحمل الصحافة الاستقصائية مسؤولية أساسية في مكافحة الفساد وتعزيز الحكامة، وفقًا لعلي دنيف حسن، تلعب الصحافة الاستقصائية دورًا حاسمًا في كشف النقاب عن ممارسات الفساد التي لا تظهر على السطح بشكل مباشر، من خلال التحقيقات المعمقة، يتم تقديم حقائق مدعومة بالأدلة تضع الشخصيات العامة وصناع القرار تحت المجهر، مما قد يؤدي إلى محاكمات قانونية وإصلاحات سياسية، يُوعد الفساد من أكبر العوائق التي تواجه التنمية المستدامة، والصحافة الاستقصائية تساعد في معالجته من خلال تسليط الضوء على إساءة استخدام السلطة.[36]

ومن خلال الكشف عن الانتهاكات والقضايا التي تمس الصالح العام، تؤثر الصحافة الاستقصائية بشكل مباشر في تشكيل الرأي العام، يشير سامح حسانين عبد الرحمان إلى أن الرأي العام يتأثر بشكل كبير بالصحافة الاستقصائية حينما تقدم قضايا جوهرية غير معروفة للجمهور، وتسهم هذه التحقيقات في زيادة الوعي العام حول القضايا المهمة، مثل قضايا الفساد، مما يدفع المواطنين إلى المطالبة بالتغيير. [37]

تلعب الصحافة الاستقصائية دورًا مهمًا في تعزيز مفهوم المساءلة الاجتماعية، حيث يُعتبر كشف الحقائق المستترة جزءًا من النضال ضد الأنظمة التي تفتقر إلى الشفافية، وفقًا لرسالة الماجستير التي قدمها الباحثين الجزائريين سلامة سمير وسالم دحمان، فالصحافة الاستقصائية تعتبر واحدة من أقوى أدوات الرقابة الشعبية على السلطة، مما يُمكّن الجمهور من المطالبة بمزيد من الشفافية والمساءلة من الحكومات والأنظمة الاستبدادية، ومن خلال تطبيق مبدأ المساءلة العامة، تستطيع الصحافة الاستقصائية دفع المؤسسات للتغيير، إما من خلال إصلاح سياسات قديمة أو وضع آليات جديدة لتعزيز الحكامة الجيدة، او إسقاط النظام ككل عبر تغيير جذري وبأثر فوري. [38]

2.4 نظريات التغيير الاجتماعي ودور الصحافة الاستقصائية

من منظور نظري، يمكننا تحليل تأثير الصحافة الاستقصائية من خلال عدة نظريات علمية في علم الاجتماع، وأهمها نظرية "الحتمية الاجتماعية" التي تشير إلى أن التغيير في المجتمع غالبًا ما يبدأ بالكشف عن مشكلات أساسية تؤثر على الشرائح الأضعف في المجتمع، فالصحافة الاستقصائية تلعب دورًا مباشرًا في هذا التغيير من خلال عرض قضايا حقوق الإنسان والانتهاكات المجتمعية، حيث تسلط الضوء على الفئات المتضررة وتتيح لها صوتًا مسموعًا، ومن أهم مسؤوليات الصحافة الاستقصائية نجد التأثير في صنع السياسات العامة، فالصحافة الاستقصائية تضع القضايا على طاولة النقاش العام، مما يؤدي إلى ضغط شعبي على صناع القرار، وتشير نهلة محمد أحمد جبر إلى أن التحقيقات الصحافية التي تكشف عن عيوب في السياسات العامة تدفع المسؤولين نحو إعادة النظر في السياسات القائمة أو تبني سياسات جديدة، وهذا التأثير في صنع السياسات يعد من أهم إنجازات الصحافة الاستقصائية. [39]

تتحمل الصحافة الاستقصائية مسؤولية كبيرة في إحداث التغيير داخل المجتمعات من خلال كشف الحقائق المخفية والضغط على صناع القرار، هذه المسؤولية تتطلب التزامًا كبيرًا من الصحفيين الاستقصائيين بالمعايير المهنية والأخلاقية، إضافة إلى مواجهة تحديات قانونية وسياسية كبيرة، خاصة في المناطق التي تفتقر إلى الحريات الصحافية. [40]

خلاصة:

تلعب الصحافة الاستقصائية دورًا هامًا في تشكيل الرأي العام بفضل قدرتها على الكشف عن الفساد والانتهاكات عبر توعية الجمهور بالتحديات الحقيقية التي تواجه المجتمع وتجبر المسؤولين على المحاسبة، وتعزيز الشفافية والمساءلة بخلق الضغط على الجهات المعنية لتحسين أدائه عن طريق تقديم سردية غير رسمية وإثارة النقاشات العامة وبناء الثقة لدى الجمهور مع التأثير على صنع القرار مما يشكل ضغطًا عليهم لتحقيق الإصلاح.

تبني الصحافة الاستقصائية ثقة الجمهور بالمعلومات الموثوقة وتساعد في تقليل انتشار الأخبار الزائفة، وتخلق حالة من الوعي العام، مما يمكن أن يؤدي إلى تحفيز حركات التغيير، وإجراء إصلاحات على السياسات والقوانين، وتقوي الدور الرقابي للصحافة.

الهوامش:

[1] الصحافة الاستقصائية: تعريف الصنعة، الشبكة العالمية للصحافة الاستقصائية، تاريخ الاطلاع 02 أكتوبر 2024، https://urls.fr/S3oSV7ا

[2] مارك هنتر ونلز هاتسون، على درب الحقيقة، دليل أريج للصحافة العربية الاستقصائية، بدون طبعة، عمان، المكتبة الوطنية، 2009.

[3] كاظم المقدادي، الإعلام الدولي: تصدع السلطة الرابعة.. إعادة تشكيل الخارطة الإعلامية، بغداد :مطبعة البحر الأبيض، الطبعة الأولى 2011.

[4] لي هنتر، كتيب الصحافة الاستقصائية العالمية، منشورات اليونسكو، 2012.

[5] الدليل التدريبي للصحافة الاستقصائية "على درب الحقيقة " الذي أصدرته منظمة الأمم المتحدّة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) في العام 2009.

[6] Adam, G. Stuart & Roy Peter Clark (ed.) (2006). Journalism. The Democratic Craft, New York: Oxford University Press: page 300

[7] نسخة محفوظة من موقع ويكي ليكس للوثائق المسربة، الجزيرة، تاريخ الاطلاع 02 أكتوبر 2024، على موقع واي باك مشين.

[8] كريستوف ديلوار، الأمين العام لمنظمة مراسلون بلا حدود، تقديم التقرير السنوي لحصيلة الصحفيين المحتجزين والقتلى والرهائن والمفقودين عبر العالم خلال العام 2023.

9 Dohnanyi Von Johannes; The Impact of Media Concentration on Professional Journalism Vienna: The OSCE Organization for Security and Co-operation in Europe, Representative on Freedom of the Media, 2003, P77

[10] نلز ميولفاد Nils Mulvad من المعهد الدانمركي للتغطية الإعلامية المدعومة بأجهزة الكمبيوتر Danish Institute for Computer Assisted-Reporting، برانت هيوستن Brant Houston من منظمة محررون وإعلاميون استقصائيون،Investigative Reporters and Editors

[11] ديفيد راندال، الصحفي العالمي، ترجمة: معين الإمام، الرياض: مكتبة العبيكان، ط1، 2007، ص 165

[12] Waisbord, S. (2019). The Vulnerable Public Sphere: Journalism and Democracy in Latin America. Columbia University Press.

[13] ثابت مصطفى، الصحافة الاستقصائية وتحدياتها في العالم العربي، مجلة الإعلام والمجتمع، المجلد السادس، العدد الأول، يونيو 2022.

[14] محمد العربي العياري، الفضاء العمومي وسؤال الحرية جدل هابرماس وهونيث وفريزر، مجلة تبين، العدد 44، المجلد11، ربيع 2023.

[15] العبدي خيرة، مراجعة نظرية دوامة الصمت في سياق الفضاء الافتراضي A Review Of The Theory Of The Spiral Of Silence In The Context Of Virtual Space، مجلة الإعلام والمجتمع، العدد الأول، المجلد السابع، الصفحة 376-403، يونيو 2023، الجزائر.

[16] كيري مالية، "حراسة البوابة الإعلامية": مقاربة مفاهيمية في ظل البيئة الإلكترونية، مجلة المعيار، العدد الأول، المجلد 22، الصفحة 406-419، يناير 2018.

[17] كمال الحاج، نظريات الإعلام والاتصال، الصفحة 157، منشورات الجامعة الافتراضية السورية، الجمهورية العربية السورية 2020.

[18] محمود رشاد محمد أبو عالية، بحث في نظرية الغرس الثقافي، الصفحة السادسة، كلية التربية جامعة طنطا، جمهورية مصر العربية، 2015.

[19] نهال عمر فاروق بدوي، نموذج التنافر البديل: التطور في نظرية التنافر المعرفي من التأثيرات الفردية إلى التأثر بتجارب الآخرين خلال عملية تشكيل الاتجاهات وتغييرها، المجلة المصرية لبحوث الرأي العام، الصفحة 429، العدد الرابع، المجلد السابع، مصر 2013.

[20] عزوز وهيبة حنان، الفضاء الافتراضي، إعادة النظر في نظرية قادة الرأي، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، المجلد 03، العدد 02، ص 705-689 ديسمبر 2019.

[21] أشرف بلمودن: شاب سلاوي يحدث ثورة في عالم الصحافة والإعلام، موقع سلا بريس، تاريخ الاطلاع: 02أكتوبر2024، https://tinyurl.com/m9scf95j

[22] أبو يوسف يناس وآخرون،2016، دليل صحافة استقصائية من أجل التنمية، مصر، مؤسسة فريدريش يبرت مكتب القاهرة، ص ص-29 30.

[23] أبو حمام عزام، المنهج العلمي في الصحافة الاستقصائية، ص13، الأردن، دار أسامة للنشر والتوزيع، 2014.

[24] لجنة تحقيق وزارية بعد "تحت التجربة"، موقع أريج، القاهرة بتاريخ 2018/07/15، تاريخ الاطلاع 02 أكتوبر 2024، الرابط: https://tinyurl.com/bdhhv9rh

[25] سؤال وجواب: علامَ تدور فضيحة وثائق بنما؟ موقع بي بي سي بتاريخ 04 أبريل 2016، تاريخ الاطلاع 02 أكتوبر 2024 الرابط https://tinyurl.com/2p9m5pzm

[26] محمد البدراني فاعل، القيم الاجتماعية، مجلة الصحافة الاستقصائية منهج جديد لكشف الفساد وتحقيق القيم الاجتماعية، مجلة العلوم االجتماعية، العدد13، يوليوز 2015، بغداد، الجامعة العراقية، ص11-27

[27] الحائزة على الجائزة الدولية للمرأة الشجاعة (IWOC) في دورتها الثامنة عشرة لعام 2024 في البيت الأبيض هي رابحة الحيمر. وهي امرأة مغربية شجاعة نجحت في خوض غمار النظام القضائي وناضلت من أجل الحصول، من خلال الحق الذي توفره مدونة الأسرة المغربية لسنة 2004، على الاعتراف بزواجها التقليدي لإنقاذ ابنتها من التهميش الذي كثيراً ما يعاني منه الأطفال غير الشرعيون. أصبحت قصة رابحة أكثر من مجرد انتصار شخصي عندما التقت بالمخرجة البريطانية Deborah Perkin ووافقت على أن تُروى مسيرتها في فيلم وثائقي بعنوان "Bastards". الفيلم التي تم عرضه على التلفزيون الوطني المغربي وفي مهرجانات السينما حول العالم، يرفع مستوى الوعي حول محنة أمهات الأطفال غير الشرعيين، وقوانين الأسرة المغربية التي تسمح للنساء مثل رابحة بالسعي لتحقيق العدالة. https://tinyurl.com/tcxvvu4c

[28] ملك المغرب يطلب "فتوى" بشأن مقترحات تعديل مدونة الأسرة، أصوات مغاربية، واشنطن، 29 يونيو 2024، تاريخ الاطلاع 02 أكتوبر 2024. https://tinyurl.com/2fuavncs

[29] حسيبة حاج صحراوي، نائبة مدير برنامج الشرق الأوسط وشمال أفريقيا في منظمة العفو الدولية، سدُّ ثغرة قضية الاغتصاب في المغرب ليس سوى خطوة صغيرة على طريق الخلاص من هذه الآفة في شمال أفريقيا، 31-01-2014، تاريخ الاطلاع 02 أكتوبر 2024،

[30] يحاول فاعلون في المجتمع المدني المغربي تقديم قضية الشابة المغربية أمينة الفيلالي باعتبارها رمزا لاضطهاد المرأة ومحفزا لإدخال تعديلات على فصول القانون الجنائي المتعلقة بالاغتصاب، رغم كل التوضيحات التي حاولت الحكومة تقديمها.

في المغرب... انتحار "أمينة" يُفجّر سجالات مُجتمعية واسعة، محمود معروف – الرباط، 27 swissinfo.ch مارس 2012 - 09:03 ، تاريخ الاطلاع 02 أكتوبر 2024.

[31] اعتمد مجلس الأمن الدولي بالإجماع القرار رقم 2546 حول ليبيا، الذي جدد بمقتضاه لمدة 12 شهرا الإذن للدول الأعضاء بتفتيش السفن في أعالي البحار قبالة ساحل ليبيا، إذا تم الاشتباه بقيامها بتهريب المهاجرين أو الاتجار بالبشر. https://tinyurl.com/4n2cmaxc

[32] في ظل تقارير حول الاتجار بالبشر في ليبيا الأمين العام يؤكد: لا مكان للعبودية في عالمنا، أخبار الامم المتحدة، 20نوفمبر 2017، https://tinyurl.com/3fcfx9m2

[33] فاضل محمد البدراني، الصحافة الاستقصائية منهج جديد لكشف الفساد وتحقيق القيم الاجتماعية، مجلة العلوم الاجتماعية، المجلد التاسع، العدد الرابع، يوليوز 2015، الصفحة 8-31.

[34] مبني نورالدين وهميسي نور الدين، الصحافة الاستقصائية والقيم الاجتماعية: قراءة متعددة الأبعاد لمفهوم الفضيحة في وسائل الإعلام، مجلة دراسات، الصفحة 224-251، المجلد 11، العدد1، يونيو 2020.

[35] ثابت مصطفى، الصحافة الاستقصائية وتحدياتها في العالم العربي، الصفحة 129-145، مجلة الإعلام والمجتمع، المجلد 6، العدد1، يونيو 2022.

[36] علي دنيف حسن، دور الصحافة الاستقصائية في محاربة الفساد المالي والإداري والجريمة المنظمة، مدرسة الصحافة المستقلة، بغداد، 2019.

[37] سامح حسانين عبد الرحمان، الوظيفة الرقابية للصحافة الاستقصائية خلال مرحلة التحول الديمقراطي في مصر، دراسة، المجلة المصرية لبحوث الاتصال الجماهيري المجلد الثالث، العدد الأول، الصفحة 236.

[38] صناعة الرأي العام وأثرها على سياسات الدول دراسة حالة الحراك في الوطن العربي، إعداد الطالب: سلامة سمير – دحمان سالم، إشراف الأستاذ: د. مكاوي نور الدين، مذكرة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر في العلوم السياسية تخصص دراسات أمنية وإستراتيجية، الصفحة 56 إلى 60، جامعة زيان عاشور –الجلفة– كلية الحقوق والعلوم السياسية، الموسم الجامعي 2019/2020، الجزائر.

[39] جبر نهلة محمد أحمد، مستقبل الإعلام في الوطن العربي: الصحافة الاستقصائية، مجلة شؤون عربية، جامعة الدول العربية – الأمانة العامة، المجلد/العدد: 167، خريف 2016، الصفحة: 104.

[40] جسيكا وايس، الصحافة الاستقصائية في عصر التكنولوجيا والتطور السريع، شبكة الصحفيين الدوليين، 10/ 6/ 2009.